ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

دلالة العدد في شعر زهير بن أبي سلمى

The number significance in Zuhair Ibn Abi Salama's poetry

نوال أقطي[1،*]، فوزية دندوقة [2]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة(الجزائر)، naouel.naouel.agti@gmail.com

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، fz.dendouga@univ-biskra.dz

تاريخ الإستلام: 11/ 08 / 2021 **تاريخ القبول**: 06/ 01 / 2022 **تاريخ النشر**: 05/ 02 / 2022

ملخص:

يعد العدد علامة إشارية مقابلة للعلامة اللغوية تفصح عن مدلولات عدة، وتشي بعبقرية إبداعية لافتة، تلزم القارئ على الانقياد لبريق عنفوانها، لذلك نعقد هذه الدراسة لدلالة العدد في شعر زهير بن أبي سلمى، لاسيما أن العدد قد ورد بكثرة في شعره، فجاء مرتبطا بالزمن مرة، وبمعتقدات الشاعر مرة أخرى؛ ليطرح نقاشا حول التنبؤ بكلفة زمننا الآني، الذي أصبحنا نعيش فيه عالم الرقمية بأسمائنا وشوارعنا ومدننا.

ويحاول البحث تلمس أسباب ورود العدد المتكرر في البنية النصية، وسر علاقته بالزمن ورفعته إلى القداسة، كما يكشف عن حقيقة تعلق الشاعر بالأعداد الزوجية أكثر من استخدامه للفردية منها

الكلمات المفتاحية: العدد؛ الشعر؛ العدد الزوجي؛ العدد الفردي؛ الرقم.

***

Abstract:

The number is a gesture signed equivalent to the linguistic one. It discloses several significances, and shows a creative brilliance obliging the reader to follow its strength. Therefore, this study is concerned with the number significance in Zuhair Ibn Abi Salma's poetry. The number has numerously been mentioned in his poetry, and it's linked with time sometimes and to the poet's belief other times. So, it puts forward a discussion about the cost of our time, in which we live within a digital world with our names, streets, and cities.

This research attempts retrieving the reasons behind mentioning the repeated number within the textual structure, the secret of its relation with time, and being sacred. It also reveals the reality of the poet's relation with the use of the even numbers more than the odd ones .An abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article It refers to the objective of the research, and the results reached in two paragraphs

Keywords:

the number, the poetry, the even number, the odd number, the digit

* المؤلف المرسل.

I. مقدمة

إن للقارئ مجمل المسؤولية في استحداث دلالات النص، واستنطاق المكنون فيه من الرموز، وكل قراءة جديدة تمنح تأشيرة خاصة، وتزيح الغامض على زاوية معينة، ويبقى تعدد القراءة مشاركا بشكل فعال في معرفة أدق مقومات النص.

وفي هذه الرموز المستخدمة يحتل العدد حيزا واسعا، بوصفه علامة إشارية تواصلية لها ميزتها الأساسية في البوح بما هو مسكوت عنه، إذ تدلي بتعدد دلالي، وهي مثير انتباهي يستفز المتلقي لمراجعته وتأويله.

وقد تجاوز العدد في الوعي المعرفي حد الإحصاء نحو البحث في الدلالة البيانية، فاتصل بأبعاد أسطورية وعقائدية لكونه كائنا مقدسا، ثم تطور ليتخذ دلالات نفسية واجتماعية، واتسعت مجالات استعمالاته حتى أضحى قادرا على التعبير عن أكثر من فكرة.

وإذا كان النص الشعري الجاهلي مرتبطا بالتجربة الحياتية والواقعية، لاسيما وهو يقف عند قضايا التناقض الدنيوي، والحتميات المطلقة. فإنه يفصح عما يؤرق الذات البدائية التي لم تصل إليها هموم الزمن الآني بعد، وهو ينطلق بشكل عام من هذه الاعتقادات نفسها المرتبطة بالعدد.

ويبدو أن التركيز على العدد بوصفه لغة فكرية إبداعية وإستراتيجية فاعلة في التعبير عن الوجود، هو حرص على إبراز تجارب الشاعر القديم ومواقفه، وكذا تنقيب عن درر الفكر العربي في بداياته، فضلا عن إدراك ما يميز المجتمع القديم من معتقدات وأعراف.

وقد لا تضيع هذه المعطيات إذا اختير شعر زهير بن أبي سلمى مساحة تطبيقية؛ خاصة وأن الشاعر سيد قضية إنسانية واجتماعية، وصاحب مدرسة الروية، يتصل نصه بالواقعي، ويمتاز بتماسك الأجزاء وتواصل الدلالة، حضر العدد فيه بأشكاله المختلفة حضورا مكثفا.

لذا فثمة مغزى معين وراء استخدام العدد في شعر زهير. وعلى هذا يكون التساؤل: كيف أدرك الشاعر عددية زمنه؟ وهل كانت تلك الرقمية صيغة تنبئية لسمة التشيؤ الآني؟ كما أن استخدام الأعداد الزوجية بشكل لافت مبعث تساؤل آخر يقبع تحت غطاء التساؤل الأول!

وتحاول الدراسة أن تجيب على ما اعترضها من إشكالية مركزة في ذلك على الجزء (المعلقة)، مستندة إلى (الكل) شعر الشاعر، بمنهج استقرائي، وهذا وفق النحو الآتي:

تعريف العدد لغة واصطلاحا، العدد والرقم واسم العدد، العدد (الأهمية والتطور)، استخدام العدد الزوجي، استخدام العدد الفردي.

أولا: تعريف العدد

يمكننا التطرق إلى دلالة العدد اللغوية والاصطلاحية مع محاولة الوصل بين الدلالتين:

1. العنوان لغة

يرد العدد في دلالته المعجمية على أنه «إحصَاءُ الشَّيءِ عَددَا ومِقدَارُ ما يُعدُّ ومبلغُهُ» (ابن منظور، 2003، الصفحات 345-346) كما يقال: «عددت الشَيءَ عدًا حَسَبتُه وأحْصَيتُه» (الخليل بن أحمد الفراهيدي، 2007، صفحة 79،ج1)، من هنا يرتبط العدد بالإحصاء والحساب، وهذا يثبت دقة استخداماته ومنطقها .ويتواصل الإحصاء مع الأشياء وكل مجرد

بالنسبة لابن منظور محصى، وهذا يفسر «كون الأشياء في مكوناتها وجوهرها أعداد...فالأعداد إذن جواهر الأشياء [بل وقد ذهب الفثاغورثيون إلى القول [إن] لبعض الأعداد فضائل وأسرار متصلة بالوجود، هذا من ناحية واكتشفوا أن الانسجام الموجود في الكون ممتد حتى يصبح هذا الانسجام جوهر الأشياء ولما كان الانسجام يقوم على العدد كان من الطبيعي أن يقال أن جوهر الأشياء العدد» (بدوي، 1984، صفحة 77)، فانسجام الوجود مرتبط بانسجام الأعداد ونظاميتها.

وورد العدد بمعناه اللغوي في عدة مواضع من التنزيل نستحضر منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (سورة مريم، الآية 94)، كما جاء في الحديث الشريف «أن رجلا سئل عن القيامة فقال إذا تكاملت العدتان، قيل فما عدة أهل الجنة وما عدة أهل النار أي إذا اكتملت عند الله برجوعهم إليه قامت القيامة» (ابن الأثير، 1963، صفحة 189)

فالعدد بيان لفظي يعنى بحساب الأشياء وحصرها ومعرفة كميتها، ويكون الإحصاء لكل شيء معدود، ويوم الحساب قائم على هذه العدة لكونه يقرأ الجزئيات الدقيقة من دون غفلة أو نسيان.

2. العنوان اصطلاحا:

قال الزجاج كل عدد قل أو كثر فهو معدود ولكن معدودات أدل على القلة لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء، وقد يجوز أن تقطع الألف والتاء للتنكير، والعدد في معناه العام يتضمن الإفراد والتثنية والجمع، وما يضاف من نحو؛ بعض وكل وأي، وما يأتي من نحو: كثير وقليل (ابن منظور، 2003، صفحة 346).

وجاء في المعجم الفلسفي «العدد أحد المفاهيم العقلية الأساسية وعرفه البعض بنسبته إلى المعاني القريبة منه فقالوا: العدد هو الكمية المؤلفة من نسبة الكثرة إلى الواحد وعلم العدد هو العلم الرياضي المحض» (صليبا، (د ت)، الصفحات 60-61)، فالأعداد أدوات ضرورية لمعرفة قيمة الأشياء ومقدارها، وهي لغة دقيقة ومحددة، وأداة فاعلة للإدراك أنتجها فكر إنساني متطور، ليرصد وفق معطياتها مقارنات عدة تشخص جوانب الإيجاب والسلب في كيانات مختلفة.

ثانيا: العدد والرقم واسم العدد

ميز مصطفى النحاس بين الرقم واسم العدد في قوله: «لفظ رقم هو كل رمز من الرموز التي تمثل العدد كالرمز (٣)في اللغة العربية والرمز(3) في اللغات الأخرى، ويمثل التعبير بالأرقام مرحلة من مراحل الكتابة، فهو لاحق بالنسبة لاسم العدد الذي يمثل مرحلة اللفظ اللغوي، ولعل هذا يسير جنبا إلى جنب مع المعنى اللغوي لكلمة رقم وهو الكتابة» (النحاس، 1979، الصفحات 19-20)،وهذا يعني أن الأرقام وحدات أساسية تشكل الأعداد، وتدل على وحدة واحدة، وتبدأ من الصفر؛ لتنتهي عند الرقم تسعة، ويبدو أنها مرحلة لاحقة بالنسبة لاسم العدد، أما العدد فلا حد له وهو أشمل من الرقم؛ لأنه يتكون مما لانهاية له من الأرقام التي لا تعدو أن تكون إلا علامات له.

إن العدد يدل على الكمية المتآلفة من الوحدات وهو عند جميع النحاة الكمية، والألفاظ الدالة على الكمية بحسب الوضع تسمى أسماء العدد (التهانوي، 2006، الصفحات 150-151)، ويدخل في ذلك الواحد والاثنان ويخرج الجمع... والعدد فكرة يدل عليها باسم العدد وأن لفظ عدد يطلق ويراد منه اسم العدد تجاوزا (النحّاس، 1979، الصفحات 19-20)

فالعدد يختلف عن اسم العدد في كون الأول دالا على الكمية، والثاني لفظ يستخدم للدلالة على كمية أحاد المعدودات منفردة أو مجتمعة، فلفظ الواحد موضوع لآحاد المعدودات إذا كانت منفردة، أما إذا تعلق الأمر بمعدودين فنقول اثنان وقس على ذلك، وبعبارة أوضح ما نسميه نحن أعدادا هي أسماء أعداد (واحد اثنين ثلاثة أربعة..). ولأجل هذا أطلق ابن يعيش اسم باب اسم العدد عوضا عن العدد في كتابه "شرح المفصل" على خلاف غيره من النحاة.

ثالثا: العدد (الأهمية والتطور): أنظمة العددية تكرارية متتالية تراكم

معروف أن «العد بالأرقام قديم جدا، وقد احتاج الإنسان إلى العد قبل احتياجه إلى التكلم، فقضى أجيالا عديدة قبل أن تولدت اللغة، وهو يعد بالإشارات وأساس العد عنده الأصابع، ولا يزال أثر ذلك باقيا إلى اليوم» (جورجي، 1904، صفحة 112)

من هنا مر العدد بسلسلة من التغيرات قبل أن يظهر بشكله الآني، فقد «كان يصور بالنقط على قدر ما فيه من آحاد، وترتب هذه النقط في شكل هندسي، فالواحد النقطة والاثنان الخط والثلاثة المثلث والأربعة المربع وهكذا... ومن ثمة توصف الأعداد بالأشكال، فيقال: الأعداد المثلثة والمربعة والمستطيلة أي التي تصور بنقط مرتبة بشكل مخصوص» وارتباط العدد بالشكل يشي بعبقرية إبداعية تصل الأنظمة العددية بالهندسة والرابط بينهما هو البناء والترتيب.

وارتبطت الأعداد باللغة بعد انفصالها عن نظامها الهندسي الأول، فكتبت بالحروف قبل أن تستخدم لها رموز تختلف باختلاف الأمم والحضارات.

ويبدو أن العدد ظهر لنتيجة إنسانية وأصبح نظاما متداولا، بل و«فلسفة قائمة بذاتها وحقيقة واقعة وركيزة أساسية في الإنسان والكون» (نازنين عمر، 2008، صفحة 15)، وبالنظر إلى النصوص القديمة تتعدد في مضامينها استخدامات العدد؛ لأنها ترتبط بمعتقدات دينية وأسطورية وخرافية. فلقد تعامل اليونانيون القدامى مع الأعداد «وكأنها كائنات شبه مقدسة تكمن في أساس عملية الخلق نفسها فإنهم أبعدوها عن معاملات والتحليلات اليومية، وأحاطوها بهالة من الدين والفلسفة. » (ماكليش، 1999، صفحة الغلاف)

وقد ورد العدد في فلسفة أفلاطون مقسما إلى صنفين: (الأعداد الرياضية والأعداد المثالية)، وفرق أفلاطون بينهما فقال: إن الأعداد بوصفها وحدات مقابلة للأشياء الحسية هي الأعداد الرياضية، أما الأعداد بحسبانها مبادئ الأشياء ومن طريقها نستطيع أن نستخلص بقية الوجود، فيمكن أن تسمى باسم الأعداد المثالية أو الأعداد كصور، فالأعداد لها مكانة وسط بين الوجود الحسي والوجود العقلي، بينما لدى فيثاغوروس وجود الأعداد هو الوجود المحسوس (سعيد، 2013، صفحة 860)

والعدد عند تلميذ أفلاطون (أرسطو) هو موضوع الحس المشترك، أما عند كانط فكل مقولة لها رسم تخطيطي يدل عليها، والعدد هو رسم الكمية، في حين يرى برتراند رسل أن العدد هو فئة من فئات متشابهة ينطبق على كل عدد من سلسلة الأعداد بغير استثناء، فهو ينطبق على الصفر كما ينطبق على الواحد (وهبه، 20007، صفحة 413)

وقال ليبنيتز: إن علم العدد يحتوي على أسرار كبيرة، أما دو ميتر فيقول: في حياتي لم أدرس إلا العدد، إنه الحركة، إنه الصوت، إنه كلمة الفكر، وبما أنه موجود في كل مكان فإني أراه في كل مكان، ووفق المسار ذاته يرى بلزاك أن كل شيء لا يوجد إلا بالحركة والعدد والحركة هي العدد الفاعل. (سعيد، 2013، صفحة 861)

ويمكننا تبعا لما سبق وصف العدد بأنه: حركة اهتزازية متحولة تتغير بشكل دائم ومستمر، وهو تعبير عن حيوية الحياة وفاعلية الوجود، خاصة أن الأنظمة العددية تشكل متتالية تكرارية تواترية، تتجدد وفق حركة دورية غير ثابتة.

وقد صاغ الإنسان فيما بعد معرفته بالأعداد شعرا ونثرا، فهجر مدلولها تلك الاستخدامات المجردة والجافة، حتى إنه انتقل من القياسات الرياضية والأحجام والدلالة على أجزاء الوقت إلى لغة ثرية وغامضة في الآن ذاته، إذ ورد العدد في لغة الأمثال بدلالات متباينة فقولنا: "فلان لا يثني ولا يثلث" يعني أن الرجل كبير السن عاجز إذا أراد النهوض لم يستطع. ومن ثمة فالعدد يرتبط بالقوة والعجز عنه فعلا، يدل على القصور ويتجاوز أحيانا هذا ليشير إلى حدة الدهاء فقولنا "إحدى الإحدى: أنه داهية" نعبر به عن مكر الرجل وفطنته وقدرته على المراوغة (النحّاس، 1979، الصفحات 92-93)

واتخذ العدد في الخطاب القرآني عبر أشكاله المتنوعة الستيني والعشري والكسري حضورا معجميا ودلاليا مختلفا اتصل بالمبالغة أو ببيان حكم أو بالتفريق والجمع أو ببيان علم، وقد حاز الواحد على أكثر تردد بالمقارنة بغيره من الأعداد تأكيدا على وحدانية الخالق ودل العدد سبعة على عظمة الخلق أما الكسور فاستخدمت في سياقات قضايا الميراث (ينظر التعليق1)

وأضحى العدد في زمننا الحالي لغة عامة، فأدرج على أبواب المنازل والشقق والفنادق والعمارات واستخدم في واجهات الحافلات والشوارع وأصبح التعبير بالأسلوب العددي لغة عالمية لها ما يميزها من أبجديات الإثارة لكونها اختزالية ومكثفة ساعدت على تنظيم الحياة بشكل واسع.

وعلى هذا الأساس يظهر جليا أن للعدد سره، الذي يتوارى تاركا مسافة توتر بين بنيتيه السطحية والعميقة ولابد للقارئ الركض في مضمارها؛ سعيا نحو القبض على جوهر المعنى المفقود.

رابعا: استخدام العدد الزوجي في شعر زهير:

يمتاز نص زهير بالتكثيف الدلالي، المستفز لقارئه المتجدد مع كل زمن؛ إنه البلازما السابحة على محك القراءة النقدية، يصر على مواجهة قارئه بما هو مثير، فيستخدم العدد بشكل مغاير عن غيره من النصوص، فالشاعر يتجاوز عبره الراهن ويسعى به نحو تقصي المختلف تعبيرا عن حالته النفسية وعن وعيه الوجودي.

من أجل ذلك يلجأ الشاعر إلى استعمال الأعداد الزوجية أكثر من الفردية توقا منه لمحاورة حركات الممتد واللامتناهي، المفصح عن اكتمال معرفة الذات بذاتها واتصالها بمعرفة الوجود أيضا، ولكون العدد الزوجي هو أي عدد يمكن تقسيمه إلى جزأين متساويين فهو يقوم على مبدأ التوازن والمناظرة الجامعة بين الذات والوجود.

ويلتقي نص المعلقة بالعدد في بيتين ليلقي الضوء على وعي جمالي يؤسس لفكر معرفي يمارسه الإنسان القديم انطلاقا من عيشه البدائي البسيط.

يقول الشاعر:

وقفت بها من بعد عشرين حجة/فلأيا (الإبطاء وجهد وشدة) عرفت الدار بعد توهم (بن أبى سلمي، 2005، صفحة 65)

فالوقوف والنهوض أساس التغلب على الزمن وسطوته، وشعور الذات بلذة الخلود والبقاء أسهم في بث الطاقة الارتفاعية، التي تسمو على الزمن وتجعله ينكمش متراجعا إلى الخلف. وحصر الزمن في فترة معينة يطوقه بين قوسيها؛ ليجعل حركته أقل تسارعا، وتواتره أبطأ نبضا.

واستكمالا لأوجه القوة والثبات يأتي الانتصاب مرتبطا بالأنا؛ لينبهنا إلى ثقة الذات بنفسها في مرحلة عزتها، وأمام صراعها مع الزمن.

والحقيقة أن الوقوف انفصم عن الشعور النابع عن صحوة القلب ،التي أوحت باستحضار خيوط الماضي وتشكيلاته التي خطها على لوحات الحياة خاصة، وأنه ليس ثمة ما يحدد الزمن أهو ماض قريب أم بعيد، فهو زمن عام مستوعب للماضي برمته(عرفت/ فعلت)، وهو أيضا بادرة تمرد على مواصلة الدوران القصري مع عجلة الحياة ،التي تلوك في حركتها إرادة الذات، فتطحنها طحن الرحى بثفالها دون توقف؛ قصد استعادة خطواتها إلى الأمام، دون محو تاريخ منظوماتها الحياتية، إنها فعلا لحظة لاسترجاع الأنفاس وإبصار مواطن الخطأ؛ لاستهداف مواطن الخلاص والنجاة .

وإسناد المعرفة إلى الوقوف أمر ضروري، إذ لا تتم المعرفة إلا برحلة البحث وإرجاع البصر كرتين، ما يشكل رسوخا في الذاكرة الحسية، وذاكرة الإنسان تسهم في الحفاظ على هذه المعرفة واستعادتها، ثم بلورتها بشكلها الجديد؛ ذلك لأن الذاكرة هي النشاط العقلي المعرفي الذي يعكس القدرة على استرجاع المعارف ومعالجتها، وعليه ترتبط بسن النضج (بعد عشرين حجة) عند الذات وتضمحل في خضم الوتيرة الحياتية لعمر الإنسان. وهناك تعتمد الذات على الخبرة والتعقل والتريث (من يعش ثمانين حولا).

ولعلها أحد مصادر المعرفة التي أوردها رودرك* (*Roderick*) في كتابه نظرية المعرفة، وبالتالي نلحظ أن عملية المعرفة تتم وفق المخطط الآتي حسب رأي زهير:

مخطط (1) توضيح آليات حصول المعرفة المصدر: إعداد الباحثتين

ودليل المخطط يمنحنا حقيقة أخرى وهي حقيقة أن المعرفة لا تتحقق عن طريق الحاسة فقط، بل لابد أن تستند على العقل فالمعرفة = معرفة عقلية + معرفة حسية، وهو ما توصل إليه أفلاطون حين عاب على الشاعر استخدام المعرفة الحسية دون المعرفة العقلية.

وبناء على ما سبق نخلص إلى أن غاية الإنسان من المعرفة أساسا تحديد مساره عبر الحياة، وخوض مسيرته التي لا تخلو من مكابدة وعناء بكل شجاعة.

والمعرفة ملتصقة بالديار أي بالمكان، فالوصول إلى ضفة البقاء لا يؤمّن إلا بافتكاك تأشيرة معرفة الحيز المحيط بالذات؛ لأن جهل المسالك والسبل يدفع إلى الضياع والتيه في محيطات الوجود، إذ لا يمكن لها مواصلة الحضور إلا من خلال إدراك غياهب المكان، ولعل ذلك ما يفسر إرجاع نمو المعارف إلى التأثير البيئي والجغرافي (م تشيز هولم، (دت)، صفحة 120)، فمجتمع الأحرار هو مجتمع الحكماء والفلاسفة الذين يملكون المعرفة الحدسية، تلك الملكة الفائقة للعقل (حمداوي، 2019، صفحة 10)، وضمن هذا المحور ندرك سبب بحث الشاعر عن سبيل للبقاء يتحقق بالاستقرار والتحرر من عقبات الخوف، واستفاء معالم التحرر يخلق كمالية العقل المتعلق بالشيخوخة (ثمانين حولا) الدارج على مراحل الفكر والخبرة المتقدمة مع تقدم التجارب وحوار التفاعل البيئي المجسد على مدار الزمن .

وربما يأخذ رأي ابن خلدون القائل (بكثرة العلوم في المجتمع الحضري حيث يكثر العمران) مسارا يلتقي في منحاه مع قول زهير الرابط بين المعرفة والمكان.

وما يتوضح من خلال البيت هو البين الحاصل بين الوهم والمعرفة، إذ تحتل الأولى صدارة العجز والأخرى مؤخرته لتدل على استعلاء المعرفة على الوهم وتأجيل الظن؛ لأنه طمس المعارف وقتلها على المعرفة.

ويسهم العدد عشرين كثيرا في التعمق إلى أغوار ما تفرزه الدوال من مدلولات متعددة لا متناهية المعاني، إذ يرمز عشرون «إلى الإنسان على أساس أنه يحمل عشرين إصبعا وقد كان الهنود لا يهبون أسماء لأطفالهم إلا في يوم العشرين لولادتهم» (م صدقة، 1994، صفحة 208) فإن التحول العددي إلى كائن علامة على أن سر الوقوف هو إدراك هوية الذات، والمحيط الملغم بأثقال الخطر الغامض والمجهول الذي يترصد الأنا.

فصعوبة الوجود ستجعل كلا من هوية الذات والفضاء مجرد فراغ يؤصل لمأساة الإنسانية، التي تعاني الحزن والأسى.

إن ما تتجرعه الذات إذن هو اغتراب مكاني أحدثه الزمن لينفي صورة الفضاء الأصلية، ويبرهن على أن للحياة وجها آخر غير وجه الخصب والنعيم: إنه وجه الجذب والتحول الطبيعي المفاجئ الذي يسقط الحيز الجغرافي في سراديب الموت «ويشتبه كل من الإنسان والمكان في مطاطية التحول فإذا كان المكان يعاني حتمية التغيير فان الإنسان يعاني المصير نفسه» (باشلار، 1984، صفحة 130)

وسطوة الزمن التي داهمتها الذات لتزيحها من الطريق، التصقت بها وحولتها إلى ذاكرة تجتر فواتير زمن ولى وانقضى تحت ضغوط الحاضر الراهن والحاكم بسلطان القهر والفناء.

ولأن الأعداد لا ينتهي عدها لاسيما أن «الزوجية منها غير محدودة» (م. صدقة، 1994، صفحة 209)صادق ذلك على مسألة محورية الزمن واستمراريته (وقفت /عرفت= الماضي المطلق لأنها على وزن فعلت) ،التي تلتهم مطلقية الحياة وتعبر على المجال الضيق، الذي تسجن فيه الذات لتعاني ألم العزلة والانزواء فيقلب معادلات وجودها إلى واقع مقلق.

ويضطلع التكرار الوارد في البيت (بعد/من بعد) بتصريح الذات واعترافها أن الوجود مكرر والحياة دورة تستلزم معاودة أبجدياتها برتابة مثيرة للملل، ذلك أنها تقضم مصير الإنسانية بين فكي الموت والتجدد.

ويكون الجناس الحاصل في البيت (وقفت عرفت) التنغيم الصارخ بمشاعر الحزن والتوتر الدائم لذات تتلوى كلما أدركت أن بكاءها ترديد لأجراس انفعالاتها.

وتأتي ردود الفعل في تصفيقات التنوين (حجةً/فلأياً) الخالقة لإيقاع شعري داخلي يدق أجراس الضغوط، التي تمسك بأعناق الإنسانية من قلق الموت والفناء ولغة الاغتراب والتطرف، لذا تعلق صورة الذات الممزقة لتكتمل أسوار سجنها الذي يطوقها داخل ساحة الفجيعة، ويكون ضجر الوحدة واضطراب الذات العملة الأساسية التي يدفعها الإنسان على مر العمر.

أما المركبات الإضافية والمجرورات واستخدام الجمل القصيرة انفعالات لأرق البؤس والشقاء والأسى.

وتفشي صوائت المد المتواترة بأسرار هذه الأنا التي تتدلى على عتباتها هموم الصراع الدرامي مع الوجود والطبيعة مما يغرقها في صميم السأم، فتزداد تأوهاتها بازدياد المشاق والشدائد:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك التنبيه يسئم(بن أبي سلمي، 2005، صفحة 70)

مخطط (2) رسم توضيحي يربط بين زمن الضجر في صدر البيت وعجزه المصدر: إعداد الباحثتين

فثمة مسافة بين الفعلين اللذين يوحيان بالملل والعبث والانزعاج، مسافة تمتد من الماضي إلى المستقبل؛ لتجعل الذات بين فكي اللامعنى والإكراه. هي إذن صدمة الوجود المستلب والعيش المنطلق من مأزق صراع الزمن والمنتهي إلى تغلب هذا الزمن.

والملاحظ أن العلامة الإعرابية في الفعلين التي تبدأ بالضم وتنتهي بالكسر المرتبط بالضرورة تنطلق من حياة الشباب التي تنكمش تدريجيا لتصل إلى انكسار الجسد وانحنائه، لذلك تكون نتيجة رحلة الانهيار -(**ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسئم**)- مؤكدة، تعبر عن وعي تام بمأزق الإنسانية وانسحاقها أمام حتمية الموت.

من ثمة تشي هذه الحلقة المغلقة بحياة إنسان مسجون يعيش داخل قفص الزمن، حريته واهمة ونسبية إحداثياتها (سئمت –يسأم) ناطقة بالشعور باللاجدوى والهامشية في أطروحة العيش ومبرهنة عن خطر الطبيعة والعدو، لذلك ترمى الذات على حافتي البيت، ويتبدل شكل الزمن كالحرباء من ماض إلى مستقبل، غير أن جوهره يبقى مرتبطا بمعنى الحزن والبكاء.

وتندفع عجلة الزمن بسرعة عبر متتالية الجمل الفعلية الدالة على التحول الحادث في مراحل عمر الإنسان: **سئمت / من يعش/ يسأم**، هذا التحول الزمني يقود الذات إلى الشيخوخة؛ أي إلى الوهن، غير أنه لا يرافق تحول الحدث، فالملل والانزعاج موجود طالما تأكد وجود الموت، وكأن الذات تتجرع موتها منذ الميلاد بصراعاتها اللامتناهية وموتها البطيء والمعلق على مقصلة الزمن التي تنفذ حكم الإعدام متى تشاء.

وبما أن الدهر مقلق يقبض على عنق الذات، فالثبات غير موجود والجمل الاسمية تختفي تاركة حلبة الصراع للجمل الفعلية الخاضعة لهذه التحولات، بينما يحتل العيش وسطية البيت؛ ليثبت مبتغى الإنسانية، وهو الدوران حول بؤرة مركزية اسمها العيش في هناء وسعادة دون التأثر بالظروف المحيطة، فعدم التوازن والاضطراب النفسي يتحقق عند الابتعاد عن مركز التوازن الوجودي، لذا تقدم أداة الشرط الجازمة على الفعل بجعله ساكنا، إذ هي رحلة البحث عن حياة أكثر استقرارا واستقلالية.

ويمكننا تلخيص ما ورد في المخطط الآتي:

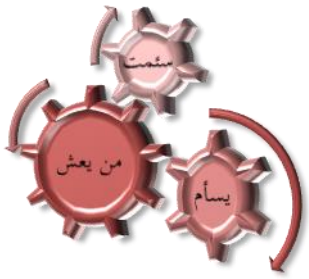

مخطط (2) حركية الالتفات ومركزية العيش المصدر: إعداد الباحثتين

إن الخضوع الحياتي للموت لا يمس الفرد فقط، بل يتعداه ليحصد الجماعة، وعليه ينطلق الشاعر من الأنا إلى الآخر عبر استخدام أسلوب الالتفات القائم على إيقاظ القارئ ولفت انتباهه إلى القصيدة بشكل يوحي بالتلوين الخطابي، وإذا كان هذا الأسلوب من شجاعة العرب كما عبر عنه البلاغيون، فتلك بسالة اعتمدها الإنسان القديم لمواجهة الصعوبات والعوائق.

من هنا لا تنفك الأنا ترتمي في أحظان الآخر لتنتقل للانصهار في نظام القبيلة السائد في المجتمع الجاهلي، واستقلالها يعني بكل بساطة وفاتها المبكر، غير أن نظام القبيلة نفسه يبقى عاجزا عن رفع ظلم الفناء، والسيادة المحققة تبقى سيادة غير أزلية ومنتهية.

ومن أجل حياة أكثر بقاء هناك تكريس لحضور الذات والجماعة معا، من خلال طبقات النون المتراكمة والدالة على الانضمام والانجماع، إنها تعكس أيضا هواجس دواخل الذات التي تخشى الفصل والانعزال، لذلك يصعب تجاوز عتبة الجماعة، فتحتفظ بصفتها في العدد ثمانين المختار،

والرقم ثمانية (8) المقدم حصيلة جمع رقمين فرديين معا أو زوجيين معا، بمعنى أنه لا يمكن لم المتنافرات تحت غطاء واحد، (إذ وجودت القوة لا وجود للضعف وإذا وجدت العداوة لا مكان لوجود الصداقة)، في هذه الحالة لا تنجذب الذات لقطبيات مختلفة، بل تخضع لقطبية موجبة أو سالبة، فالوفاء جوهرة ترصع تاج القبيلة الجاهلية، وعملية التجميع القائمة بين الأرقام تعقبها سياسة التجميع القائمة في هذا المجتمع.

والعدد المكون من رقمين أحدها معدوم والآخر لا: هي ثنائية الموت والحياة المتنافرة في هذا الوجود، والبدء بالعدم يكافئ تسيدا للموت وللكآبة الموجعة التي تظهر أيضا في اللجوء للعدية المدغدغة لنبضات القلب المحدودة والمشيرة لحدودية الحياة، وإذا ما سألنا ما وراء هذه الحدودية نقول حزن وسأم.

واختيار العدد ثمانين تعظيم للموت وللزمن (ثمانين حولا). وهو الناطق في هول القعقعة الواقعة (ن ن) والتي تكشف عن الغرق النافذ في بحار النهاية، إذ يتجاوز العمر الذات ولا تستفيق إلا وهي على مشارف الظلمات، وذلك ما يصيبها في الصميم، فتتوجع وتصيح في أنين إيقاع الثمانين.

ووساطة الرقم ثمانية بين الصفرين 080 هو مركزية الحياة الواردة في مركزية العيش وحافة السأم كما قلنا سابقا. وفي تسييج الحياة كنتاج لحضور الأسر والقيد ولغياب الحرية والاستقرار، ومرحلية العمر البادئ بالصفر والمنطلق إلى العدم.

وعندما يخضع العدد لجميع العمليات (+ - × ÷) فإنه يفرض على الذات الخضوع لكل أنوع التقلبات الحاصلة في الوجود (يوم لك ويوم عليك)، أما عن كون الثمانية ضعف الأربعة وضعف الاثنان، فيمكن تفسيره بأن حياة زهير مكررة كما أسلفنا سابقا، لا وميض فيها بدايتها سأم ونهايتها سأم.

وربما يكون التسليم بمنطق العد والحساب انعكاس ينبغي لصورة الحساب الواقع يوم الآخر (تدخر في كتاب أو تعجل فتنقم)

وعلى الرغم من محاولة الذات المتلاحقة للاحتماء بالجماعة فمصيرها يؤول إلى اليتم (لا أبا لك) وهنا ترتسم علامات وصور الوحدة والاغتراب، وهكذا تعلو مرثية الأنا في منفاها لتلاشي الانتماء، وتمتثل للانكسار، فلا يغنيها التعلق بالجماعة، وتتسارع خطواتها إلى سرداب القبر، وهذه العزلة هي ما يلقي بالذات في أحضان الملل والانمحاء.

هذا وقد أدرك زهير ما سوف تنتهي إليه حال الإنسانية حينما تطغى لغة الفواتير والحسابات الرقمية، فهو يقرن الذات بالرقمية ويذيلها بلا الرافضة للشيء المحقق لثبوت السأم، وهذا ما جعل التكاليف تجاور الحياة.

وربما يكون صحيحا أن الشاعر الجاهلي لا يعرف أساسيات العالم الرقمي ويعيش الحياة على فطرتها، ولكن ما يكلف الشاعر هو الضغوط التي طالما خضع لها لردع الخطر ومقاومة حتمية الزوال، وهذا ما ولد الإحساس بالعبث والإحباط، لذلك أنزل الشاعر الحياة منزلة المركب الإضافي، فهي من التوابع؛ لأنها أبقته على الحافة.

وإذا كان العدد ثمانين يمثل التجدد وقد اعتبرته المذاهب القديمة «بداية دورة جديدة تلعب دون الصفر ف» (م. صدقة، 1994، صفحة 107) إن هذا التجدد مؤشر للارتقاء إلى حياة يسودها الأمن ولا توشحها شراشيف الفناء.

والملاحظ أن استخدام الأعداد الزوجية تكرر في ديوان زهير كثيرا بالنظر إلى العدد الفردي فاستخدم الثمانية حينما قال:

وقد كنتُ من سَلمَى ثمانياً على صِيرِ أمر ما يُمِرّ وما يَحْلُو (بن أبي سلمي، 2005، صفحة 47)

فيكون ارتباط العدد الزوجي بالزمن دال على ثنائية التقابل القائمة في التقويم، وهو ما يسفر الشطر الثاني عنه: تتابعية الزمن وصيرورته بضديته الواردة (يمر ويحلو) التي ليس للحد من تذبذبها قدرة. ثماني سنوات ظل الشاعر فيها متأرجحا بين حلاوة الوصف ومرارة الهجر

ومثل ذلك قوله أيضا:

فغَيّرَ منْهُ مُلْكَ عِشرِينَ حِجّةً منَ الدّهرِ، يوْمٌ واحدٌ كانَ غاوياَ (بن أبى سلمي، 2005، صفحة 77)

فديمومة الالتصاق الزمني العددي تَبرز خلف سلطة التحول لضروب الزمن الفارقة في الحياة.

وكذا قول الشاعر:

كأنّي وقدْ خلّفْتُ تسعينَ حِجّةً خَلَعْتُ بها عَنْ مَنكبَيّ رِدائيا(بن أبى سلمي، 2005، صفحة 76)

بدا لي أني لستُ مُدْركَ ما مضى ولا سابقا شيئا إذا كان جائِيَا

وتلكم هي أحجية حياة تقابلت سنواتها، وتآكلت أيامها وشهورها، فلا يمكن استرجاع ما فات أوانه، فإذا أسدل الستار عن الزمن وهضم بين فكي الوجود لا يمكن استعادته، لذلك ينبغي الاحتراز من حتمية التتابع الزمني والتنبه إلى خداعه ومكره.

خامسا: استخدام العدد الفردي في شعر زهير:

اقتصر الشاعر في استعماله للعدد الفردي على "الثلاثة" -بإسقاط الواحد الذي ذكر في موضع لا غير- وهذا لا يفاجئنا إذا أدركنا أن لهذا العدد ارتباطا تاما بالجانب العقائدي القديم، فقد «اعتبر عددا مقدسا يمثل الخلق» (م. صدقة، 1994، صفحة 77)، لذلك نجد الشاعر قرنه بالحق لرفع التوهم وإدراك مواضعه وبيانه كونه «يرمز إلى الخير والفأل والحظ الحسن» (م. صدقة، 1994، صفحة 77) يقول الشاعر:

وإن الحقّ مقطعُهُ ثَلاثٌ: يَمينٌ أو نِفارٌ أو جِلاءُ(بن أبى سلمي، 2005، صفحة 13)

فذَلِكُم مَقاطِعُ كلّ حقٍ، ثلاثٌ كُلّهنّ لَكُم شِفَاءُ

فمقطع الحق عن الباطل وموضعه واضح هو ثلاث يمين أو نفار أو جلاء وإذا كان الحق«اليقين الذهني الثابت والموضوعي المنطبق على فكرة الواقع» (الهشمي، 2002، الصفحات 14-17) فهذا يجعل العدد يوافق الخير، وهو جمع متعلق بمعتقدات الإنسان السابق؛ لأن الثالوث الجمالي قائم على الحق والخير والجمال.

وقد ورد في شرح هذا البيت أن الحق «ينفذ بواحدة من ثلاث منها نفار أي تنافر إلى رجل يتبين الحجج ويحكم بين الخصوم ومنها يمين ومنها جلاء وهو أن ينكشف الأمر وينجلي فتعلم حقيقته ثم إن تبين الحق يشفي من الالتباس والشك» وهو ما يشي بعبقرية فذة لشاعر عد قاضيا بعد قوله هذا فقد انتهج نهجا منطقيا في تقسيم الحق وبيان وضوحه بإظهار طرقه الممكنة (اليمين أو المحاكمة أو حجة البينة)،ومما ينسب لعمر قوله بعد قراءة هذا البيت لو أدركته لوليته القضاء لحسن معرفته ودقة حكمه (عياد، 1975، صفحة 86)

ينضاف إلى ذلك وعي الشاعر بأزمة الصراع بين الأنا والآخر وتوقه إلى التغيير، من خلال رسالته الإصلاحية التي تدعو إلى عقد هدنة بين المتخاصمين لتهدئة النفوس وبث الأمل بعودة الوئام.

وطبيعي أن نجد مثل هذه الدعوة الملحة لنبذ التعصب وزرع الطمأنينة من شاعر السلم وسيد النصيحة رغبة في رسم واقع بديل يغاير زمن اللاأمن.

وقد ورد العدد أيضا ليدل على الأثافي وهي ركيزة الموقد الباقية بعد خلو الديار وذهاب أهلها. إنها التعويذة الأزلية التي لا يمكن لجل العوامل محوها ولا يمكن للزمن درسها.

وغيرُ ثلاثٍ كالحَمامِ خَوالِدٍ وَهابٍ مُحيلٍ هامدٍ متلبِّدِ (بن أبى سلمي، 2005، صفحة 22)

يرتبط العدد ثلاثة في هذا البيت بالجانب الديني العقائدي؛ لكونه المقدس الذي لا يمكن طمسه؛ لأن آثار الطبيعة القاسية لا تقوى على محوه، فموقد المرأة قار ومستقر، إنه معبد للتطهر وبلوغ الخلود يشي بقدسية صاحبته وتتجسد فيه روحها.

وربط الجامد بالحي (ثلاث كالحمام) هو بث للحركة وبعث للوجود، لاسيما أن الحمام رمز الخصوبة والقداسة. فقد زخرت الحضارة الإغريقية بالدلائل على المكانة التي تبوأتها الحمامة، وجاءت مكانتها متزامنة مع مكانة الإلهة الأنثى، وارتبطت بالإلهة "ديمتر"، وكانت من رموزها المقدسة (الماجدي، 2004، صفحة 223).

ويتضح من الأمثلة السابقة جلها أن الشاعر لا يستخدم العدد المفرد مما يوحي بتحامي الذاتية، ذلكم لأن فرادة الذات تتأكد من خلال الجماعة.

II. خاتمة:

ما **نخلص إليه من ارتباط العدد بالنص الشعري هو:**

- استخدام الشاعر العدد الزوجي أكثر من الفردي، أملا في حوار الامتداد واللامتناهي، وتخطي المتعين والحتمي، وتلك نزعة مثالية تأملية.
- تنوع استخدامات العدد في نص زهير بين الهدف الديني والهاجس الشعوري، فتباينت في تعلقها بين المحسوس والمجرد (المكان والزمن)، وأكدت أن هذه الثنائية بؤرة جوهرية، بوصفها صيرورة معتمدة في التحفيز النصي، وبنى مركزية محركة تعمل على بعث الكينونة وإثبات الهوية ومخاطبة حركية الوجود.
- إن السعي وراء قوافل الجماعة والحضور الزوجي للذوات مناجل تحقق الخصب (التكاثر والاستمرارية) للعددين 20 و80 الزوجيين.
- إذا كانت الحياة تتكرر بتمائمها، فعلى الذات أن تدرك أن النهاية هي آخر تعويذة ستحنط بها، ولا سبيل إلى الحفاظ على النفس إذا كان قدرها الفناء (العدد 20 من مضاعفات 80).
- تقلبات الوجود هي تقلبات عددية لا تحصى، فهي رحلة من موضع إلى آخر، من وضع موجب إلى موضع سالب، ومن موضع غني إلى رقعة فقيرة، ومن زمن إلى آخر.
- أدرك الشاعر مبدأ الصراع الوجودي الكائن بين الأنا والآخر، وسعى نحو البحث عن واقع مغاير تتكرس فيه معالم الألفة والمحبة، وهذا الواقع المختلف يقوم على المساواة والتقيد الدقيق بالفواصل الجزئية.
- ورد العدد الفردي في نص زهير مقتصرا في أغلبه على الثلاثة، لكونها عدد الاكتمال المتعلق بالخلق.
- يتجاوز الشاعر استخدام العدد المفرد؛ لأنه الفرد المعبر عن روح الجماعة، وفرديته لا تتحقق إلا من خلال الآخر، وذلك يعني أن الشاعر أدرك بيان العلامة الإشارية العددية ومدى استفزازها للوعي الفكري وتحريض الآخر على المعاينة والتأمل والتأويل.

- يعد تبني الأسلوب العددي تعبيرا عن نظامية وانسجام تتوق الذات إلى تحقيقهما، بتبني تراتبية مترابطة في بناء مجتمع مختلف.

الإحالات والمراجع:

المؤلفات:

ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003).

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال ، 2007).

جميل حمداوي، الفلسفة الحدسية عند هنري بروجسونن،الناطور،(المغرب: دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، 2019)

جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية و اللاتينية، (بيروت: دار الكتاب اللبناني. د ت).

جان م صدقة، معجم الأعداد، رموز ودلالات،(عربي/عربي) ، (بيروت: مكتبة ناشرون، ، لبنان، ط1، 1994.

جون ماكليش، العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، مراجعة عطية عاشور (خضر الأحمد، و موفق عبول، المترجمون، صفحة صفحة الغلاف)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1999).

خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية،(عمان: دار الشروق، 2004).

زهير بن أبى سلمي، الديوان، شرح حمدو طماس، (بيروت: دار المعرفة، 2005).

زيدان جورجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، (مصر: مظبعة الهلال، 1904)

شكري عياد، الأدب نصوصه وتاريخه، (المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف، 1975).

عبد الرحمن نازنين عمر، العدد في القرآن الكريم ،دراسة تراكيبية،(عمان، دار دجلة،2008)

عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984).

غاستون باشلار، جماليات المكان، (المترجمون، غالب هلسا)، *(بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1984)*

المبارك بن محمد الجزري مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (القاهرة: المكتبة الاسلامية، 1963)

محمد علي التهانوي، كشاف اصطلحات الفنون، (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 2006).

م تشيز هولم رودرك، نظرية المعرفة، (المترجمون، نجيب الحصادي)، (مصر وكندا: الدار الدولية للنشر والتوزيع، (د ت))

مراد وهبه، المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007)

مصطفى النحاس، العدد في اللغة، (الكويت: مكتبة الفلاح، 1979)

المقالات:

أحمد عباس سعيد، سيميائية الأعداد في الرسم العراقي المعاصر، *مجلة جامعة بابل*، المجلد 21، ع 3 ، 2013، ص.860-861

الملاحق:

[i] للمبالغة قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) العنكبوت14ولتفريق والجمع قوله تعالى (أَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) البقرة 196 وللتشريع قوله تعالى (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)البقرة227-226) سالم عبود غانم: العدد والمعدود في القرآن الكريم دراسة دلالية، مجلة الذاكرة، مجلد 08 العدد01يناير 2020 ص128.